Vol 5 Issue 2 UNE 2023

# Al-Mu'tazila in Maghreb: concept, origins and impact

**Researcher Fazry Hamza**

hamzafazri@gmail.com

**Issn print:** 2710-3005. **Issn online**: 2706 – 8455, **Impact Factor**: 1.223, **Orcid:** 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10432134, **PP** 110-123.

**Abstract:** This research investigates the concept of the Mu'tazila and the Mu'tazila and the nature of the emergence of this sect or movement, which hesitated between what is intellectual, religious, and scientific and what is practical, political, social, and that is before tracing its existence and entry into the Maghreb, which was after the entry of Islam into it, in accordance with that achieved nature, while explaining and clarifying the effects of this Division in Maghreb on the political or social level.

**Keywords**: Mu'tazila, thought, politics, movement, conflict.

**المعتزلة بالمغرب: المفهوم والنشأة والأثر**

**ملخص الدراسة:** يحقق هذا البحث في مفهوم الاعتزال والمعتزلة وطبيعة نشأة هذه الفرقة أو الحركة المترددة بين ما هو فكريّ ديني عِلميٌّ وبين ما هو سياسيٌّ اجتماعيٌّ عَمليٌّ، وذلك بين يدي تتبع وجودها ودخولها للمغرب الذي كان عقِبَ دخول الإسلام إليه وفق تلك الطبيعة المحقَّقَة، مع بيانِ وتجلية آثارِ هذه الفرقة بالمغرب على المستوى السياسي أو على المستوى الاجتماعي.

**الكلمات المفتاحية:** معتزلة، فكر، سياسة، حركة، نزاع.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله أجمعين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

تُعتَبَر المدرسة الاعتزالية إحدى المدارس الكلامية التي عرفت علاقة تأثر وتأثير بينها وبين المغرب على مستوى الأنظمة والأفراد وفي مختلف المجالات سياسيا واجتماعيا وفكريا. وقد أثرَت الأقلام الأكاديمية الخزانةَ التاريخيةَ للمغرب بمجموعة من المعطيات –على ندرتها- التي تُسهِم في إبراز المسار التاريخي للفرق الكلامية والدول التي تعاقبت على هذا القطر.

حيث قسمته إلى ثلاث نقاط رئيسة بين مقدمة وخاتمة؛ أولاها في النشأة والمفهوم، وثانيها في الدخول إلى المغرب، وثالثها في الأثر الاجتماعي والسياسي بالمغرب.

وقد نهجت فيه المنهج الوصفي وأسلوب التحليل بعد الاستقراء الناقص الذي يُبرره شح المصادر أولا وعامل الزمن ثانيا راجيا من الله التوفيق المعونة والسداد في إنجاز هذا العمل.

**التعريف والنشأة:** الجمع بين التعريف والنشأة في هذا المبحث راجع إلى طبيعة العلاقة بين هذين المطلبَين حيث إنَّ التعريفَ وضعٌ في زمنٍ ذي ظروفٍ وخصوصياتٍ تتعلَّقُ بالوضع والواضع والموضوع له، لذا كانت المفاهيم والأساميُّ منطلَقاً وأرضيةً لرصدِ نشأةِ الأفكار والمذاهب، وَمِن ثَمَّ كان لزاما علينا أن نتتبَّعَ المفاهيمَ والأساميَّ التي وُسِمت بها المدرسةُ الاعتزالية بين يدي الإجابة عن سؤال النشأة.

عَزَلَ واعتَزَلَه وعزَّلَهُ بمعنى، [1] وفي القاموس؛ عَزَلَه يعزِلُه وعزَّلَه فاعتزَلَ وانعزل وتَعَزَّلَ: نحَّاهُ جانبا فتنحى. والمِعزالُ: الراعي المنفرد. [2] ومنه اعتزَلتُ القومَ: فارقتُهم وتنحَّيتُ عنهم. [3]

وإنَّ أوعر الصعوبات التي يواجهها الباحثون في مثل هذه القضايا هو ذلكم الشح الذي تعرفه المكتبة الإسلامية عموما بخصوص المصادر الاعتزالية، فكيف إذا انضاف إلى هذا الشح التخصيص بقطرٍ معيَّن! ناهيك عن الصعوبات (الحيادية) التي تعرفها الكتابات الموجود كلما تعلقَ فكرٌ بالدُّوَل والأقطار!

كل ذلك لم يمنع من خوض غمار البحث والتنقيب رغم وعورة البحث التاريخي في خصوص المقالات والفرق والفرق وصلتها بالأنظمة والدولة، فحاولت وضع خطةٍ للمقال تتناسبُ والهدفَ المنشود

(1) زين الدين الرازي، المختار الصحاح، ع.ز.ل، ص: 408، تـ: أحمد العوامري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2015م.

(2) مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، عزل، ص: 1031، تـ: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2012م.

(3) ابن منظور، لسان العرب، (526/3)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

شاع عند كثير من الباحثين أنَّ لقبَ "المعتزلة" خرج من مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة واختلاف الناس في أصحاب الذنوب بين مكتفٍ بالتفسيق وآخر مكتفٍ بالتكفير حتى خرجَ واصلُ بن عطاء (ت131هـ) عن القولَين إلى قولٍ ثالث وهو القول بالمنزلة بين المنزلَتَين، الأمرُ الذي جعلَ الحسنَ البصريَّ يطرُدُه من المجلسِ ليعتزِل بذلك المجلس إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد كما حرَّره الشهرستاني (ت548هـ)[4] أو ليعتزل قولَ الأمة بعد انضمام عمرو بن عبيد (ت143هـ) كما حرَّرَه البغدادي (ت429هـ).[5] ثم روايةٌ ثالثة نقلها علي سامي النشار عن ابن المرتضى (ت840هـ) في (المنية والأمل) تُقَرِّرُ أنَّ الذي سماهم بذلك هو قتادة بن دعامة السدوسي (ت118هـ) حين دخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه، فأمَّهُم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري، فلما عرَفَ أنها ليست له قال: إنما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمنذئذ سُمُّوا المعتزلة![6] وهذه الرواية ظاهرة الضعف في التأويل لأنَّ قتادة لما عرف أنهم اجتمعوا في حلقةٍ غير حلقة الحسن ذكرَهم بلقبهم المعروف، لا أنه أول من لقَّبَهم به.

وفي واقع الأمر عند تتبع المعنى اللقبي للفظ "الاعتزال والمعتزلة" فإننا نجده أوَّلَ ما نجده مباشرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ حين اعتزلَ الناسُ أبا بكرٍ رضي الله عنه وامتنعوا عن أداء الزكاة، ورجع منهم من رجع إلى أبي بكر وسُمُّوا أهلَ الردة، ولم يَزَلْ هؤلاء على أمرٍ واحد حتى نقموا على عثمان بن عفان رضي الله عنه أمورا أحدَثَها وصاروا بين خاذل وقاتل إلا خاصة أهل بيته وقليلا من غيرهم حتى قُتِل، فلما قُتِلَ بايعَ الناسُ عليّاً فسُمُّوا الجماعة. ثم افترقوا بعد ذلك فصاروا ثلاث فرق: فرقةٌ أقامَت على ولاية عليٍّ رضي الله عنه، وفرقة اعتزَلَت عن محاربته بعد دخولهم في بيعتِه مع سعد بن مالك وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال النوبختي [7] نصا: "فسُمُّوا المعتزلةَ وصاروا أسلافَ المعتزلةِ إلى آخر الأبد."[8]

والملاحظ من الصيرورة والسلفية في نص النوبختي أنَّ تلقيبَ وتسمية من اعتزلوا قتالَ عليٍّ ودخلوا في بيعَته بـ"المعتزلة" لم تكن مباينة للتسمية المتأخرة التي تدور حول مجلس الحسن

(4) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 68، ت: محمد بن فتح الله بدران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2014م.

(5) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 97، ت. لجنة الإحياء العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1982م.

(6) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (427/1)، دار السلام، القاهرة، ط1، 2008م.

(7) أبو محمد الحسن بن أبي الحسن موسى بن الحسن ابن أبي الحسن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل ابن نوبخت المنجم البغدادي، وصفه الجِلّيُّ في الخلاصة قائلا: "شيخنا المتكلم المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلثمائة وبعدها"، وكذا عدَّهُ ابن النديم في فهرسته من متكلمي الشيعة الإمامية، له مصنفات منها (فرق الشيعة) و(الآراء والديانات) و(كتاب الإنسان) و(الرد على أبي علي الجبائي) و(الرد على أبي هذيل) و(الرد على فرق الشيعة) و(الرد على المجسمة)..ألخ .. توفي سنة 310 هـ. انظر (السيد محسن أمين، أعيان الشيعة، (320/5)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، طبعة 1983م.)

(8) انظر: الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، ص: 33-35، تقديم: هبة الله الشهرستاني، منشورات الرضا، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م.

البصري، إذ هي إشارة إلى النشأة السياسية للفكر الاعتزالي الذي ربما أخذ بعد ذلك أبعادا فكرية. غيرَ أنَّ بعض مؤرخي المقالات يرفض هذه الصلة كما هو الحالُ بالنسبة لأبي سعيد نشوان الحميري [9] في كتاب (الحور العين) إذ يقول:

"ومن الناس من يقول: سُمُّوا معتزلة، لاعتزالِهم علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه، وليس كذلك، لأن جمهور المعتزلة، وأكثرهم إلا القليل الشاذ منهم، يقولون: إن عليا عليه السلام كان على صواب، وإن من حاربَه فهو ضال، وتبرأوا ممن لم يتُب من محاربته، ولا يتولَّون أحدا ممن حاربَه إلا من صحَّت عندهم توبتُه منهم؛ ومن كان بهذه الصفة فليس بمعتزل عنه عليه السلام، ولا يجوز أن يُسمَّى بهذا الاسم."[10]

واضِحٌ من كلام أبي سعيد أنه فهِم من الاعتزالِ المعارضة والقتال، والحال أنهم اتخذوا موقفا محايدا من عليٍّ وخصومه المطالبين بدم عثمان، فيكون بذلك مستشهدا بدليلٍ خارج محل النزاع في التسمية. ومما يؤكِّدُ هذا المعطى هو ذلكم الرضاع الفكري المتسلسل الذي يحتفي به المعتزلة في فضائلهم الطبقية حيث يقول أبو القاسم البلخي (ت319هـ) في مقالاته:

"كان واصل بن عطاء من أهل المدينة، ربَّاه محمد بن علي بن أبي طالب وعلَّمَه، وكان مع ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد في الكُتَّاب، ثم صحِبَه بعد موت أبيه صحبةً طويلة. وحُكيَ عن بعض السلف أنَّه قيل: كيف كان عِلمُ محمد بن علي؟ فقال: إذا أردتَ أن تَعلَم ذلك، فانظُر إلى أثره في واصل."[11]

ورغم ذلك يبقى الحسم في الصلة بين المعتزلة زمنَ عليٍّ والمعتزلة زمن الحسن البصري اجتهادا ظنيا، وإن كان الحضورُ القويُّ للفكر السياسي في مقالاتِ المعتزلة يُرجِّحُ النشأةَ السياسية للمعتزلة إضافةً إلى ما سبق من التصريح بالتسمية، الرأيُ الذي أيَّدَه المستشرق كارلو نللينو ( Carlo nallino) والمستشرق نيبرج (Nyberg)، وإن كانت نظريتهما في الأصول السياسية للمعتزلة تختلف اختلافا كبيرا، "وذلك أن نيبرج ذهب إلى أنَّ مذهبَ المعتزلة الكلاميّ كان هو المذهب الرسمي للحركة العباسية، وساعد على قبول هذه الدعوى تفسيرُه لأصل (المنزلة بين المنزلَتَين) على أنه كان استجابةً سياسيةً للصراع الذي فرَّقَ الأمة بعد مقتل عثمان."[12] وقد أوردوا لذلك النصوص الكثيرة عن أبي الفداء والأخبار الطوال للدينوري

(9) هو أبو سعيد، الأمير العلامة الفقيه، نشوان بن سعيد بن نشوان، اليمني الحميري، ينتهي نسبه إلى الأذواء من ملوك اليمن، عالم باللغة والنحو والنسب والتواريخ وسائر ما يتصل بفنون الأدب، شاعر وخطيب مفوَّه. كانت النعرة اليمنية متحكمة في طباعه، وكان مناظرا ومساجلا لفقهاء عصره ومصره. استولى على عدة قلاع وحصون، وقدَّمَه أهل جبل صَبر حتى صار ملكا. له مصنفات منها (شمس العلوم) و(الحور العين) و(القصيدة الحميرية) و(أحكام صنعاء) .. ألخ .. توفي سنة 573هـ.

(10) أبو سعيد نشوان الحميري، الحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف، دار آزال للنشر، المكتبة اليمنية، الطبعة الثانية، 1985م.

(11) أبو القاسم البلخي، المقالات، ص: 159، ت.حسين خانصو، دار الفتح kuramer، إسطبول، الطبعة الأولى، 2018م.

(12) زابينه شميته، رشا العمري، المرجع في تاريخ علم الكلام، (264/01)، ترجمة: أسامة السيد، مركز نماء، بيروت، الطبعة الأولى،2018م.

والطبري، ثم يصل نللينو في ضوء هذه النصوص بين المعتزلة المتكلمين والمعتزلة السياسيين، طالما كان المتكلمون قد خاضوا –ولو نظريا- فيما خاض فيه الأولون وأرادوا اعتزالَ الفريقين معا: الخوارج والسنة؛ ولذلك يقرر نللينو: "أن المعتزلة الجدد المتكلمين كانوا في الأصل استمرارا في ميدان الفكر والنظر للمعتزلة السياسيين أو العمليين."[13]

ومما يؤخِّرُ الحسم في الصلة بين المعتزلة المتكلمين والمعتزلة السياسيين ما اعترض به علي سامي النشار من نقلِه عن المسعودي أنَّ يزيد بن الوليد (الخليفة الأموي ت126هـ) كان يَذهبُ إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والأسماء والأحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلَتَين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. مستشكِلا كيفية الموافقة بين اعتناق خليفة أموي للمذهب المعتزلي الكلامي مع القول بأن هذا المعتزليَّ الكلاميَّ إنما هو امتدادٌ للمذهب المعتزلي السياسي، وأنَّ هذا المذهب الأخير يقرر تقريرا حاسما اعتزال الفريقين: الخوارج والسنة، شيعةَ عليٍّ وأعدائه، الأمويين والعلويين، والنأي عن الفتنة ما أمكن. [14]

والحاصل من هذه الجولة التاريخية أنه إذا ما ذهبنا إلى الرأي القائل بعدم وجود الصلة بين الاعتزال السياسي والاعتزال الكلامي فسنخلُصُ إلى إنتاج مفهومَين اثنَين للاعتزال؛ أحدهما سياسيٌّ ظهرَ في (35هـ) يقتضي اعتزال الفتنة السياسية بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، والآخرُ فكريٌّ (بين أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني) يقتضي اعتزالَ قول الأمة في مرتكب الكبيرة.

وأما الرأي الآخر فلن يخلُص منه إلا مفهومٌ واحد لفرقةٍ واحدة ذات بُعدَين أساسيين غير منفكَّين؛ أحدهما علميٌّ يتمثَّلُ في المنزلة بين المنزلَتين، والآخر عمليٌّ يتمثَّلُ في الحياد السياسي. بل إنَّ مذهب الحياد السياسي الجامع بين عمرو وواصل "هو الذي منح الحركة هويتها ووحدتها".[15]

لكن ينبغي أن يُعلَم أنَّ المعتزلةَ كان لهم نشاطٌ سياسيٌّ خصوصا بعد علاقة التأثُّر والتأثير بينهم وبين الزيدية، حتى إنَّ الإمام أبا الحسين الملطي (ت377هـ) اعتبَر المعتزلة فرقةً زيدية،[16] ومعلومٌ أنَّ واصل بن عطاء أفاد من عِلمِ الأئمة العلويين ودرَسَ على بعضهم، كما أنه خريج مدرسة أولاد ابن الحنفية إذ فيها عرف آراء الشيعة حيث "أخذ العلمَ من محمد ابن الحنفية وكان خالا لأبي هاشم."[17] بعد ذلك تتلمذَ زيد الثائر (وُلِد 67هـ)[18] على يدَيْ واصل مع أنَّ

(13) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (429/1).

(14) انظر: المرجع السابق ، (429/1).

(15) المرجع في تاريخ علم الكلام، زابينه شميته، مقال رشا العمري، (272/01).

(16) محمد بن أحمد الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص: 26-34، تصحيح: س. زدريدينغ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 2009م.

(17) القاضي عبد الجبار، طبقات المعتزلة، ص: 203، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ت: فؤاد السيد، بيروت، الطبعة الأولى، 2017م.

(18) جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل، (156/7)، مؤسسة الإمام الصادق، قم، إيران، الطبعة الأولى.

واصلا (وُلِد80هـ)، فهو أصغر منه سنا كما حرَّرَه الشهرستاني في الملل والنحل قائلا: "وزيد بن علي لما كان مذهبُه هذا المذهبَ أراد أن يُحصِّلَ ((الأصول)) و((الفروع)) حتى يتحلَّى بالعلم؛ فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال الألثغ رأس المعتزلة ورئيسهم مع اعتقاد واصل أنَّ جَدَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجَمَل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب؛ وأنَّ أحد الفريقَين منهما كان على الخطأ لا بعينه."[19]

وإن كان مجموعةٌ من الباحثين قد انتقدوا ما أورده الشهرستاني مِن تتلمُذِ زيدٍ على يد واصل إلا أننا لسنا بصدد إثبات الأخص من العلاقة، بل نسعى إلى إثبات الأعم منها وهو علاقة التأثر والتأثير التي دل عليها تقاطعُ جملةٍ من آراء الزيدية والمعتزلة واشتراكُهم فيها، وهو كافٍ للتمهيد للأثر السياسي المشترك بينهم خصوصا بعد انفصال الدعوة الزيدية عن العباسية وتزعمها محمد النفس الزكية بتعضيد من المعتزلة.

ورغم ما أكَّدَه الدكتور محمود إسماعيل في كتابه (الأدارسة في المغرب الأقصى- حقائق جديدة-) من أن "المعتزلة لم يدمجوا دعوتهم في الدعوة الزيدية إبان زعامة زيد بن علي. صحيح أنهم تعاطفوا معه، لكنهم آثروا الاستقلال بأمر دعوتهم."[20] وهي قرينة سيستخدمها للتدليل على أنَّ واصل بن عطاء الذي ألَّفَ كتابا عن أصول ((الدعوة)) الاعتزالية اتخَذَ من الكوفة -وليس البصرة مقر دعوة زيد بن علي- مقرا لدعوته. وكذلك اشتغالُ الزيدية والمعتزلة باستقلال دعوي في أقاليم مختلفة مثل عبيد بن كثير الجرمي والحسن بن سعد الفقيه من دعاة زيد في خراسان، وحفص بن سالم من دعاة واصل فيها.. رغم كل هذا فإن واصل بن عطاء قد دمج دعوته بالدعوة الزيدية التي يترأسها محمد النفس الزكية بعد انفصال الأخير عن الدعوة العباسية التي وقف منها المعتزلة موقف المعارضة، وهو أمر يتسق مع الفكر السياسي للمعتزلة الذي يحبذ العمل تحت راية إمام عادل أولا، ثم التأكد من مواتاة ظروف النجاح ثانيا، الأمرُ الذي جعل الدعوة تنتشر انتشارا سريعا في مصر والحجاز والشام وخراسان والعراق وبلاد الهند وبلاد المغرب.. فتعاظمت دعوة محمد النفس الزكية بشكل لم يجد المعتزلة ما يحول دون انضمامهم إليها دعائيا وسياسيا وعسكريا، كما واصلوا تعضيدها بعد أن آلت رياستها إلى الحسين بن علي بن الحسن بن علي. وما فتئوا على موقفهم هذا حتى قيام دولة الأدارسة، [21] حتى إنهم اشتركوا في الثورات الزيدية ابتداءً بثورة محمد النفس الزكية وانتهاءً بمعركة فخ حسب اعتراف زعيمهم عمرو بن عبيد. [22]

## الدخول إلى المغرب:

(19) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 303-304.

(20) محمود شعبان، الأدارسة في المغرب الأقصى، ص: 27، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1989م.

(21) انظر المرجع السابق، ص: 28.

(22) محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص: 80، فاس، 1977م.

معلومٌ أنَّ الفتح الإسلامي كان على يد الشهيد الفاتح عقبة بن نافع الفهري (ت63هـ)، وهو أمويُّ النسب تربطُه بعمرو بن العاص صلةُ القرابة إذ هو ابن أخته، وقيل ابن خالته وهو ما رجحه تاريخ خليفة بن خياط.[23] شَهِدَ فتح مصر ثم ولّاه يزيد بن معاوية (ت64هـ) إمرةَ المغرب، فكان أول فاتح وصل للمغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي سنة (62هـ).. إلا أن هذا الحدث يبقى حدثا مرتبطا بدخول الدولة لا بدخول الفكر، فقد عرَفَت قبائل مغربية دخول الإسلام قبل هذه الفترة، كقبيلة مغراوة التي يَذكُر ابن خلدون أنها أسلمَت زمن عثمان بن عفان حين وقع أميرُها صولات بن وزمر بن صقلاب[24] في الأسر فأكرَمَ عثمانُ وفادَتَه وأطلق سراحه وتلقاه بالبِرِّ والقبول، وعقد له على قومه مغراوة وسائر زناتة،[25] مما جعلَه يرغبُ طواعية في الإسلام ويُرغِّبُ أهلَه به، فتحوَّلوا إلى أكبر سند للمسلمين بالغرب الإسلامي، واختصوا بولاء الأمويين والتشيع لعثمان وأهل بيته من بني أمية، كما هو شأن زناتة.[26] في مقابل صنهاجة التي كانت تختص بولاية آل علي بن أبي طالب.[27] وكذلك طارق بن زياد المنحدر من سلالة مسلمة، بل إنَّ جدَّه زياد بن عبد الله مسلم كما حققه ابن عذاري (ت712هـ) في (البيان المغرب).[28]

فهذه المعطيات تؤكِّدُ على أنَّ المغرب عرفَ الإسلام في الفترة الممتدَّة بين 35هـ (فترة فرضية النشأة السياسية للمعتزلة) أواخر القرن الأول (فترة فرضية النشأة الكلامية للمعتزلة)، وطبعا قبل دخول عقبةَ الأموي سنةَ 62هـ، حتى إنَّ المالكي سجَّلَ في (رياض النفوس) الحوار الذي دار بين أبي المهاجر دينار وعقبة بن نافع الذي كان عازما على التوجه إلى طنجة لفتحها فقال له أبو المهاجر ما يؤكِّدُ سبقَ دخول الإسلام إلى المغرب قبل قدوم جيش الدولة والفتح: "ليس بطنجة عدوٌّ لك لأن الناس قد أسلموا."[29]

فإذا كان الناس قد أسلموا بطنجة بشهادة أبي المهاجر دينار، فما الذي دفع عقبة لجر جيشه نحو طنجة فاتحا؟

وأياً كان الأمرُ فإن المغرب قد عرف معارضةً قوية لدخول الأمويين، وإن كانت بعضُ القبائل كمغراوة وزناتة - التي خلَّصَت عقبةَ من موتٍ محقق به- مواليةً لهم كما سبق. الأمرُ الذي جعلَ الفتحَ (أو الغزو!) يستعصي على عقبة بطنجة كما يصفه عبد الله كنون بقوله: "وأول ما فُتِح من البلاد طنجة، ثم وليلي، وهما إذ ذاك حاضرتا المغرب، ثم استرسلت الفتوح بعدُ في سائر القبائل المغربية التي كانت تنقطع الأطماع دونها لتَحصُّنها ومناعَتِها وشدةِ بأسها،

(23) انظر: خليفة بن خياط، التاريخ، ص: 153، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، 1993م.

(24) المكي الناصري، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، (259/1)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

(25) ابن خلدون، التاريخ، (34/2)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

(26) المرجع نفسه، (36/1).

(27) المكي الناصري، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، (259/1).

(28) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (43/1)، تـ: كولان وليفي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

(29) عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، (40/1)، تـ: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

والتي طالما حاولت إيقاف جيش الفتح الإسلامي عند حدِّه؛ فقاتلها عُقبة قتالا ذريعا واستنزلها على حكمه."[30]

وعلى الرغم من جعل المصادر التاريخية الصراع بيزنطيا-إسلاميا بعد التحالف مع (كسيلة) القائد الأمازيغي إلا أنَّ وصف أبي المهاجر لطنجة بالإسلام رغم وجود القائد يجعلنا لا نستبعدُ وجودَ معارضةٍ إسلامية للحكم الأموي، وهو ما يمكن أن يدلَّ على وجود المعتزلة العملية السياسية به قبل دخول عقبة بن نافع.

ومعلومٌ أنَّ مدةَ ثلاثين سنة بين موقعة صفين ودخول عقبةَ إلى المغرب كافيةٌ ليصلَ صدى الفتنة إلى المغاربة فيختاروا ولاءً أو يعتزلوا الفتنةَ والقتال، وليس من التدقيق في البحث أن يُصوِّرَ الباحثون المغربَ على أنه مسلوبُ الإرادة ومنقطِعٌ عن الوقائع لا خيار ولا توجه له فيها. والله أعلم.

أما التأريخ لدخول المعتزلة المتكلمين إلى المغرب فقد أشارت إليه كتب الأدب وكذا كتب المقالات، وإذ نبدأ بما دوَّنَه أبو عثمان الجاحظ (ت255هـ) شعرا عن صفوان الأنصاري وهو يمدح واصل بن عطاء ودعوتَه وتلاميذَه في (البيان والتبيين) قائلا:

لهُ خلفَ شعبِ الصين في كلِّ ثغرةٍ
إلى سوسها الأقصى وخلفَ البرابر
رجالٌ دُعاة لا يَفُلُّ عزيمَهم
تهَكُّمُ جبَّارٍ ولا كيدُ ماكرِ [31]

وعند تتبع أثر هذه البعثة الدعوية وهؤلاء التلاميذ نجد الإمام البلخي (ت319هـ) يقول عند عدِّ واصل بن عطاء من أرباب المذهب ومؤلفي الكتب: "وفَرَّقَ رُسُلَه في الآفاق يدعون إلى دين الله؛ فأنفذَ إلى المغرب عبد الله ابن الحارث، فأجابه الخلقُ، وهناك بلدٌ تدعى البيضاء، يُقال إن فيه مائة ألفٍ يحملون السلاح، يُعرَفُ أهلُه بالواصلية."[32] وكذا حكى أبو هذيل أنه بعثَ عبد الله بن الحارث إلى المغرب.[33]

ويضيف القاضي عبد الجبار (ت415هـ) شخصيةً أخرى أسهمت في نشر دعوة واصلٍ بالمغرب من الطبقةِ الثالثةِ؛ طبقةِ الحسن البصري، عندما تحدَّثَ عن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وذكرَ خروجَه على أبي جعفرٍ المنصور، أشاد بالموقف البطولي لوجوه المعتزلة الذين كانوا معه قائلا: "فأمَّا إبراهيم بن عبد الله فقد كان في الفضل على حدٍّ، فخرَج على أبي جعفر المنصور، والذين معه هم وجوه المعتزلة، فلو لم يكن فيهم -وهم خلقٌ كثير- إلا بشير الرحال مع زهده وعبادتِه لكفى."[34]

وقد وصف لنا البلخي قبل ذلك هذا القتال عند ذكرِه خروجَ أهل العدل من (المقالات) فقال: "ثم خرَجَت المعتزلة مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، فيهم

(30) عبد الله كنون، النبوغ المغربي، (37/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2014م.

(31) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، (37/1)، ت: عبد السلام هارون، مطابع العبور الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010.

(32) أبو القاسم البلخي، المقالات، ص: 160.

(33) طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، ص: 206.

(34) المرجع نفسه، ص: 193.

بشير الرحال، فقُتِلوا بين يَدَيه جهرا، وذلك أنَّ أصحابه انهزموا؛ ووقف هو والمعتزلة وبشير الرحال بين يدَيه، عليه مدرَعةُ صوف، متقلدا سيفا حمائلُه تسعة، تشبُّها بعمار بن ياسر رضي الله عنه، فقُتِلَ إبراهيم وقُتِلوا عن آخرهم."[35]

ولعلنا نتساءل عن سرِّ نصرة بشير الرحال لإبراهيم بن عبد الله وعدائه لأبي جعفر المنصور، فنجد بُغيَتنا فيما حكاه القاضي عبد الجبار عند ذكرِ علي بن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن، وعبد الله بن الحسن، ومحمد بن علي بن الحسين رحمهم الله، حيث قال: "رُويَ أن قائلا قال لبشير الرحال: ما تسَرُّعُكَ إلى الخروج على المنصور؟ فقال: إنه أرسلَ إليَّ بعد أخذِه عبد الله بن الحسن، فأتَيتُه، فأمرني بدخول بيت فدخَلتُه، فإذا فيه عبد الله بن الحسن مقتول، فسقطتُ مغشيا عليَّ، فلمَّا أفقتُ، أعطَيتُ الله عهدا ألا يختلِفَ في أمرِه سيفان، إلا كنتُ مع الذي منهما."[36]

أما عن أثره بالمغرب وزمنه فيقول القاضي عبد الجبار: "وإنما سُمِّيَ بشيرٌ الرحال، لأنَّهُ كانت له كلَّ سنة رحلة إلى الحج ورحلة إلى الغزو، فلم تزل المعتزلة معه حتى قُتِلَ بباخمرى[37]، ولحِقَ بعضُ أولاده وأصحابه بالمغرب، فغلبوا على مدن منها، وأظهروا الحق فيها، وكان واصلٌ من قبل، وجَّه عبد الله بن الحارث ومعه كتُبُه، ثم غلبَت المعتزلةُ في تلك المدن، ويُسَمُّون أنفُسَهم الواصلية."[38]

والظاهر أنَّ أبناءه كانوا يحملون همَّ دعوةِ واصل فوجدوا بُغيَتَهُم بالمغرب وطنجةَ خصوصا التي احتفاءً بسلالة عليٍّ رضي الله عنه والنسب النبوي الشريف، وأنصار ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بها وبالمغرب عموما هم المعتزلة كما يؤكِّدُ البلخي في زمنه نهايةَ القرن الثاني. [39]

وكان مذهب المعتزلة قد انتشر بين قبائل أوربة وزناتة ومزاتة، [40] كما وجدت تجمعات واصلية في درعة والسوس الأقصى وشرق ملوية وجبال فازاز.[41]

ويبرز البلخي في الكور التي غلب عليها الاعتزال والقول بالعدل من الغرب؛ البيضاء، وهي كورةٌ كبيرة تُعدُّ معقلا للواصلية كما سبق، إلا أنه أضاف غليها صنفا من الصفرية، يُعرفون بالمعرورية يقولون بالعدل لا يُحصي عددهم إلا الله حسب تعبيره.

وبعدها يؤكِّدُ على ولاء المعتزلة بطنجة لآل علي بن أبي طالب، مدللا على الصلة العميقة بين إسحاق بن محمود بن عبد الحميد وإدريس بن عبد الله التي ارتقت إلى حد إدخالِه في الاعتزال قائلا: "وإسحاق بن محمود بن عبد الحميد، وهو الذي اشتمل على إدريس بن عبد

(35) أبو القاسم البلخي، المقالات، ص: 198.

(36) طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، ص: 192.

(37) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب.

(38) طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، ص: 193.

(39) انظر المقالات، أبو القاسم البلخي، ص: 199.

(40) ابن حوقل، صورة الأرض، ص:94، تـ: دي خويه، مطبعة بريل، ليدن، 1973م.

(41) محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، ص: 46.

الله حين ورد عليه، فأدخَلَه في الاعتزال على أن عبد الله بن حسن وابنَيْه محمدا وإبراهيم وسائر ولده، كان يقول بالعدل. ألا ترى أن بشيرا الرحال خرجَ مع إبراهيم بن عبد الله في جماعة المعتزلة، وقُتِلوا بين يدَيْه ثمَّ قُتِلَ، ولم تخرج المعتزلةُ قبل إبراهيم ولا بعدَه. قال: وكان أبو جعفر المنصور يقول: ما خرجَت المعتزلة حتى مات عمرو بن عبيد."[42]

وقدوم إدريس إلى طنجة دون تلمسان التي كانت تُعَدُّ معقلا للزيدية مثير للاستغراب، لكنه ما يلبث أن يرتفِع إذا ما عُلِمَ بأنه تم دمج الدعوة الزيدية بالاعتزال كما سبق في المشرق، وكما أشار إليه المقدسي. [43]

كان هذا هو سياق دخول المعتزلة إلى المغرب فكريا وسياسيا تحت قيادة دولة إدريسية سبق التخطيط إليها باختصار، وباقي الأحداث إنما تأسس للامتداد والاستمرار. ولئن كنا سنستكشف شيئا من الآثار الاجتماعية والسياسية للمعتزلة فإنَّ المعتمد فيه هو ما خلَّفَه الأدارسة من أثر باعتبار دعوة الاعتزال والمعتزلة أحد أركان هذه الدولة.

**الأثر الاجتماعي والسياسي:** يمكن أن نحدد الأثر الاجتماعي والسياسي للمعتزلة بالمغرب في النقاط التالية:

-انتشار العدل الاجتماعي بالمغرب بالاتحاد المعروف للزيدية والخوارج والمعتزلة حول أصل العدل وأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تجلى في سياسة إدريس الأول.

-تمكُّن المُعتزلة مِن القيام بدور ملحوظ في النشاط التجاري؛ مِن خلال المناطِق التي تركَّزت فيها، التي تميَّزت بموقع متميِّز على خطوط التجارة الرئيسية ببلاد المغرب، فاتَّخذت المُعتزلة مِن العمل بالتجارة وسيلةً لنشر مذهبِها، فتمكَّنت مِن استمالة عدد مِن القبائل إليها، فكانت البيئة التجاريَّة أكثر استِجابة لهذا الفِكر الذي جعل العقل في أعلى مرتبة؛ لذلك لم تَقتصِر التجارة على تبادُل السلع فحسب، بل كانت وسيلةً لنقل الأفكار والثقافات، خاصَّةً وأن النشاط الاقتصاديَّ كان بِيَدِ التجار الكبار مِن مُختلَف المِلَل، فمِن خلال القوافل التجارية التي انتشَرت في الصحراء تحقَّقت وحدة في التفكير لم تتحقَّق عن طريق السياسة، فكان التبادُل التجاري بما يَحوي مِن بضائع مُتنوِّعة يَحمل في طياته تأثيراتٍ حضارية وفِكريَّة.[44]

-ازدهار الصناعة في المغرب واستغلال ثروات مناجم الفضة والنحاس وتصدير بعضها إلى خارج المغرب، وكذا دباغة الجلد الفاسي الذي كان يُصدَّرُ إلى السودان، ناهيك عن الخشب الريفي الذي كان يقصد الأندلس. وشهد قطاع الرعي تطورا هاما بعد أن كانت تهدده أخطار عمال بني أمية الذين كانوا

(42) المقالات، أبو القاسم البلخي، ص: 194، تحسين خانصو، دار الفتح kuramer، إسطبول، الطبعة الأولى، 2018م.

(43) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: 243-244، ليدن، 1906م.

(44) انظر مقال مني حسن عن النشاط الاقتصادي للمعتزلة بالمغرب بمدونة الألوكة.

يبقرون بطون الأغنام بحثا عن الجزة الذهبية. [45]

-الاستقلال الفكري والاجتماعي والسياسي عن الشرق، خصوصا عن بني أمية الذين تمت معارضتهم من المغاربة منذ بادئ الأمر قبل وبعد الإسلام.

والحق أنه مع ما رُصِدَ للمعتزلة من آثار اجتماعية وسياسية كمساهمتهم في قيام دولة إدريس، وترسيخ العدل في مناطق تواجدهم، وآثارٍ فكرية كإثراء جوِّ المناظرات وتهيئة المناخ لدخول الأشعرية وقلَّ من التفت إلى هذا الأخير، وتأثيرهم على فكر ابن تومرت، وآثار اجتماعية كنماء التجارة وانتشار الرفاه إلا أنه لم يُرصَد لهم أيُّ أثر تربويٍّ ملموس غير أنَّه يَعِنُّ لنا هنا افتراضٌ يستحق أن يُدلى به وإن لم تكن عليه أدلة ملموسة؛ وهو أنه ربما كان لمعتزلة المغرب دورٌ في إثراء التصوف الفلسفي الذي تميَّزَت به بلاد المغرب في هذا العهد حتى كاد أن يكون خصيصة من خصائصها بما اجتمع من تعبُّدٍ وتطلُّعٍ إلى الحقائق العرفانية وتلقُّحٍ بالفلسفات اليونانية كتصوف ابن مسرة وابن العريف وابن العربي وابن سبعين وأبي الحسن المسفر وأبي يعزى وابن حرزهم ...

وربما عثر الباحثون المتخصصون في هذه الموضوعات على نتائج مهمة من المقارنة بين الفكر التربوي الاعتزالي والتصوف الفلسفي بالمغرب ما يؤكِّدُ هذا الافتراض أو ينفيه. ولعل الزمان يكشف عن بعض آثار المعتزلة ومؤلفاتهم مما قد يفتح أعيننا عن تأثيرات أخرى ملموسة في مجالات عدة وجوانب شتى.

**خاتمة:**

بعد أن عرضنا مفهوم الاعتزال من خلال مبحث النشأة ومسألة سبب التسمية فخلُصنا إلى مفهومين؛ إحدهما سياسي والآخر كلامي مع إمكانية توحيد المفهوم والقول بتعدد الأبعاد. ثم تتبعنا دخول المعتزلة إلى المغرب على المفهومين الكلامي والسياسي. وختمنا باستكشاف الأثر الاجتماعي للاعتزال بالمغرب.. نأتي إلى صياغة أهم نتائج العرض في النقاط التالية:

1/ الاعتزال له مفهوم سياسي عملي نشأ زمن الفتنة (35هـ)، وآخر كلامي علمي نشأ في مجلس الحسن البصري.

2/ الحسم في الصلة بين المعتزلة زمن علي بن أبي طالب، والمعتزلة زمن الحسن البصري يبقى اجتهادا ظنيا تُقرِّبُ المرجحات القولَ فيه دون الجزم.

3/ إمكانية دخول المعتزلة السياسيين إلى المغرب قبل دخول عقبة بن نافع؛ أي بين موقعة صفين والفتح. ويدفع للقول بذلك وجودُ معارضة إسلامية للدولة الأموية جعلت أمر الفتح يستعصي على عقبة بن نافع انتهى بقتالٍ امتد إلى تصفيته واستشهاده بعد ذلك.

4/ إسلامية المعارضة دل عليه تصريح أبو المهاجر دينار لعقبة بن نافع في

(45) انظر مزيدا من التفصيل: د.محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، ص: 77-90.

الحوار الذي دار بينهما قبل توجه عقبة إلى طنجة.

5/ تحالف الزيدية والمعتزلة كان تمهيدا لقيام دولة الأدارسة وليس اعتباطا أو تقاطعا فكريا، بل هو تخطيط سياسي.

6/ وجود بعض الآثار الاجتماعية للمعتزلة بالمغرب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## References


-Abdul Qahir al-Baghdadi, The Difference Between the Sects, ed. Arab Revival Committee, New Horizons Publishing House, Beirut, fifth edition, 1982 AD.

-Abdullah bin Muhammad al-Maliki, Riyadh al-Nufous, edited by : Bashir al-Bakoush, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1994 AD.

Abdullah Kannoun, Moroccan Genius, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, second edition, 2014 AD.

-Abu al-Qasim al-Balkhi, Articles, published by: Hussein Khanso, Dar al-Fath, Istanbul, first edition, 2018 AD.

-Al-Hassan bin Musa Al-Nubakhti, Shiite Sects, presented by: Hebat Allah Al-Shahristani, Al-Rida Publications, Beirut, first edition, 2012 AD.

-Ali Sami Al-Nashar, The Origins of Philosophical Thought in Islam, Dar Al-Salam, Cairo, 1st edition, 2008 AD.

-Al-Makki Al-Nasiri, Al-Iqtisasa fi Akhbar Al-Maghrib Al-Aqsa, Dar Al-Kitab, Casablanca, 1997 AD.

-Amr bin Bahr Al-Jahiz, Al-Bayan and Al-Tabin, edited by : Abdul Salam Haroun, Al-Obour Modern Press, Cairo, first edition, 2010.

-Assayed Mohsen Amin, Shiite Notables, Dar Al-Ta'arof Publications, Beirut, 1983 edition.

-Ibn Adhari Al-Marrakshi, Al-Bayan Al-Maghrib fi Akhbar Al-Andalus wal-Maghreb, published by : Colan and Levy, House of Culture, Beirut, third edition, 1983 AD.

-Ibn Hawqal, The Image of the Earth, edited by : De Jouet, Brill Press, Leiden, 1973 AD.

-Ibn Khaldun, History, Publications of Al-Alami Publications Foundation, Beirut, 1971 AD.

-Ibn Manzur al-Afriqi, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, first edition, 2003 AD.

-Jaafar Al-Subhani, Research on Mills and Bees, Imam Al-Sadiq Foundation, Qom, Iran, first edition.

-Judge Abdul Jabbar, The Mu'tazila Classes, German Institute for Oriental Research, published by: Fouad Al-Sayyid, Beirut, first edition, 2017 AD.

-Khalifa bin Khayyat, History, edited by: Suhail Zakkar, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, 1993 AD.

-Mahmoud Ismail, Secret Movements in Islam, Fez, 1977 AD

-Mahmoud Shaaban, The Idrisah in the Far Maghreb, Al-Falah Library, Kuwait, first edition, 1989 AD.
-Majd al-Din al-Fayrouzabadi, The Ocean Dictionary, edited by : Muhammad Naeem al-Arqsusi, Al-Resala Foundation, Beirut, third edition, 2012 AD.
-Muhammad bin Abdul Karim Al-Shahristani, Boredoms and Bees, published by: Muhammad bin Fathallah Badran, General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 2014 AD.
-Muhammad bin Ahmad Al-Malti, Al-Tanbih and Response to the People of Desires and Heresies, edited by : S. Zderding, German Oriental Research Institute, 2009.
-Zabina Shemitkeh, the reference in the history of theology, translated by : Osama Al-Sayyid, Nama Center, Beirut, first edition, 2018 AD.
-Zain Al-Din Al-Razi, Al-Mukhtar Al-Sahah, edited by: Ahmed Al-Awamri, Dar Ibn Hazm, Beirut, first edition, 2015 AD.